وعلى هذا فشا الجهل وهو لا يزال فاشياً لانه ما من احد يحاربه وبعاديه ومتى كانت هذه العداوة معدومة فمن اين تأتي الحركة والسعي والحرص والحذر واليقظة وسائر مسببات الكمال ؟

شهيد الواجب

بقلم حضرة الكاتب الاديب حنا افندي صاوه

اهتزت عروش اوروبا اثر انتصارات بونابارت العظيمة المتوالية وعقد الملوك خناصرهم على محاربته ليكسروا شوكته فكسرهم شر كسرة وان موقعة اوسترليتز الشهيرة لمن اعظم المواقع الدالة على مقدرة هذا الرجل العجيب الذي كان يكتسح بجيوشه البلدان كزوبعة هائلة والذي كان جندياً بسيطاً فاصبح امبراطوراً عظيما حاز اسم رجل القرن التاسع عشر

وكأن الله قد اراد ان يقيد مجد هذا الامبراطور لئلا يجحد فجعله يفكر في الغارة على روسيا بلاد الثلج والبرد فجند جيشاً عرمرماً اجتاز به مملكتي النمسا وبروسيا ثم دخل ارض القياصرة والنصر يكلل اعلامه حتى وصل الى موسكو واستولى عليها . وحينئذ اصيب بنكبة هائلة خارت لها عزيمة رجاله وكادت تذهب بحياته ولكنه نجا باعجوبة

اما هذه النكبة فتنحصر في ان الروسيين احرقوا عاصمة بلادهم وتتذاك ولا نعني بها سوى موسكو وكان الامبراطور في قصر قد طوقته

النيران وحجبه الدخان فبذل اركان حربه جهد المستطاع حتى خلصوه وتخلصوا معه

وكان وهو ازاء هذه النكبة رجلا حديدياً ثابتاً حاضر الذهن فكان مثال الشجاعة بكل معناها . ومنذ هذا الحين لم يلاق توفيقاً في روسيا فان البرد هرأ اطراف الرجال والارض الثلجية كانت تذوب تحت اقدامهم وتبتلعهم

وكان للامبراطور قائد يحبه حباً يقرب من العبادة وقد كان هذا القائد احب فتاة بادلته هذا الحب فلم يشأ نابوليون اصطحابه وابقاه بجانب محبوبته هذه التي خطبها من ابويها

فلم تصل هذه الاخبار الى باريس وان امبراطور فرنسا المحبوب في اشد الضنك حتى رأي هذا القائد ان واجبه يامره بان يوافي ملكه لعله ينفعه بشيء

وكان هذا القائد يدعى موريس وهو في الثلاثين من عمره جميل الصورة طويل القامة حاد البصر جريئاً خاض معامع القتال مراراً وكان له رأى سديد اما خطيبته فكانت في العشرين من سنها وهي بيضاء البشرة زرقاء العينين معتدلة القامة

وعزم موريس على مفاتحة آل خطيبته هذه التي تدعى ماري في امر انضمامه الى الامبراطور فتنازعه الحب والواجب

ولبث اياماً وهو لا يقرر شيئاً وقد اصبح مفكراً يحن تارة الى استعمال سيفه ويعز عليه تارة مفارقة خطيبته

وفي ليلة ما دعي الى العشاء عند ماري وكانت الانباء السيئة تأتي تباعاً

فعول اخيراً على تضحية الحب وتقديمه قرباناً طاهراً على مذبح الواجب

فلبث منتظراً حتى تركوا المائدة ودخلوا الى غرفة ليقضوا سهرتهم فيها حيث افتتح الحديث عن امبراطوره

وقد اتفقوا كلهم على ان مركز بونابارت اصبح حرجاً ويستدعي المدد وما عادوا يرجون له ان يظفر بل يعود الى فرنسا سالماً

وللحين لاح لموريس الوقت الذي يوقفهم فيه على غرضه فقال لهم ان لدي فرقة قوية لا ينقصها شيء من المعدات فعلينا ان نرسلها اليه

فكأن ماري فهمت مقصوده فاصفرت وقالت ولعلك تريد ان تستلم قيادتها فاضطرب الفتى للهجتها المحزنة وقال بثبات وهو كذلك يا عزيزتي

* * *

حدث بعد مضي يومين على ما اتينا على ذكره ان موريس كان يستعرض فرقته التي قررت الحكومة النيابية ان تمد بها الامبراطور

وكان الجو معتدلا جميلا والشمس خالعة ثوبها الذهبي على الارض والجنود تلتهب شوقاً الى موافاة قائدها العظيم

وقد كانوا ينتظرون بين حين واخر صدور الامر بالذهاب

وكان الشعب مجتمعاً ليحيي من جعله اول شعوب العالم . وكانت ماري بجانب موريس وفي يدها غصن زيتون وما كانت في هذه الهنيهة صفراء بل باسمة . فبينما هم كذلك اذا بالامر المنتظر قد صدر فتلقاه الجنود بالهتاف والشعب بالسرور . اما ماري فقد كللت خطيبها بغصن الزيتون ثم قبلته وقالت اذهب وخلص مليكك وكن عظيما

فانحنى عليها الشاب وقبلها في جبينها وهو يقول ساعمل بقولك لتفتخرى بحبي . وبعدئذ تحركت الجنود وسارت والكل يحييها

وكان جنود الروس قد قطعوا خط الرجعة على الامبراطور وحاصروا بعض قواده . وكان الامبراطور يفكر في القيام بحركة ينضم بها الى هؤلاء القواد

ومضت مدة ما كان هو يباشر فيها شيئاً كما ان الاعداء ما كانت تكف عن تضييق الحصار على من حاصروهم

غير انه عزم اخيراً على الزحف الى الروس لينجد احب قائد له وكان يدعى ناي ولكنه ما عتم ان سمع دوي مدافع

فتهلل وقال ان ناي لباسل وسيقاوم الاعداء حتى اوافيه بيد انه لم يعط الامر بالزحف حتى شاهد فرقة ناي مقبلة عليه ومعها جنود اخرى

فعزم الامبراطور على تهنئته ولكنه توقف اذ انه رآه حزيناً وقال له ما بالي اراك هكذا متكدراً يا ناي فقال لاننا فقدنا صديقاً قال ومن تعني قال موريس فانزعج وقال اكان اتى هو قال نعم وهذه جنوده قال وكيف تم ذلك قال اراد الاعداء ان يتحولوا عني اليك فصادفهم في طريقه فناشبهم قتالا شديداً تشاركت معه فيه حتى صددناهم فقال بحزن ان خلاصي من الحصار كان اذن على يديه واننا حزنا هذا الظفر بثمن غال

* * *

وكان الشعب الفرنساوي ينتظر اخبار امبراطوره بقلق فكانت الجرائد لا تضن عليه بشيء معلقة على الانباء الشروح الطويلة . وكان من عادة والد ماري ان يقرأ جرائده في حديقة له

فحدث بعد مضي عدة ايام على الموقعة التي اشرنا اليها انه جمع ما وصل اليه من الصحف ونزل مع ماري الى مكان في الحديقة حيث جلسا في مقعد ثم نشر الاب جريدة واخذ يتصفحها . وكان الوقت ربيعاً والحديقة بابهى منظر والورد مفتحاً والرياحين زاهرة يحركها الهواء فتتعطر الارجاء فمالت ماري الى اقتطاف بعض الورد فتركت مكانها وجمعت منه طاقة حصرتها ضمن نطاق من الياسمين ثم انثنت عائدة نحو والدها فالفته مصفراً مضطرباً فارادت استخباره فوقعت انظارها على فقرة منبئة بموت خطيبها فجمدت في مكانها ولكنها لم تلبث حتى صاحت صيحة مزعجة ثم سقطت الى الارض مغشياً عليها

* * *

في دير من اديرة باريس كانت راهبة جاثية وفي يدها كتاب تقرأ فيه وكان ذلك في معبد في سقفه قنديل ضئيل النور

وكان السكون يشمل هذا المكان المقدس . فبعد ان ظلت الراهبة على هذه الحالة مدة طويلة طوت الكتاب ثم وقفت وخرجت من المعبد والدموع تسيل من عينيها

اما هذه الراهبة فتدعى الاخت متيلده وكانت قبلا تسمى ماري